**أما كتاب :**

## « طوق الحمامة »

فقد جاء فى سلسلة الفهارس ـ مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ـ مكتبة الجلال السيوطى ، فى السجل الذى يجمع ويصف مؤلفاته ما يأتى تحت (رقم ٤٤٨) :

« نسبه إليه **حاجى خليفة** فى كشفه » .

« **والعظم** فى عقوده » .

« والبغدادى فى هدية العارفين » .

« أوله : الحمد لله مجير الحمام فى البيت الحرام » .

« يوجد مخطوطاً بالاسكوربال ضمن مجموع » .

## منهج التحقيق

لقد اعتمدنا على المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٦ طبيعيات تيمور « ميكورفيلْم » بزقم ٤٢٠٩٣ .

وهو يقع فى سبع وأربعين صفحة لم تسلم من التصحيف والتحريف كما تبين لى عند الرجوع إلى النصوص المنقولة فى مصادرها نثرية كانت أم شعرية .



obeikandl.com

ولقد قمت بضبط الأبيات ، وشرح ما غمض من الكلمات والعبارات ، والتعليق على ما يحتاج منها إلى تعليق مع مراعاة علامات الترقيم ، والرسم الإملائى الحديث .

كما قمت بتوثيق ما جاء بالكتاب من حديث عن طباع الحمام وصفاته بدءًا بالرجوع إلى أرسطاطاليس فى كتابه وختاماً بدوائر المعارف الخاصة بالحيوان .

وكان من بين ما رجعت إليه :

- عالم الطير فى مصر ـ أحمد محمد عبد الخالق .
- تاريخ البريد فى العالم ـ جمال العرابى .
- الحمام ـ دكتور عز الدين فراج .
- مع الطير ـ أحمد أمين ـ فيض الخاطر .
- أصل الأنواع ـ داروين .

والله من وراء القصد والحمد لله أولاً وأخيراً ،،

**القاهرة فى جمادى الأولى سنة ١٤٠٧ هـ ، يناير سنة ١٩٨٧**

**مصطفى عاشور**

# طوق الحمامة

الإمام جلال الدين السيوطي

obeikandl.com

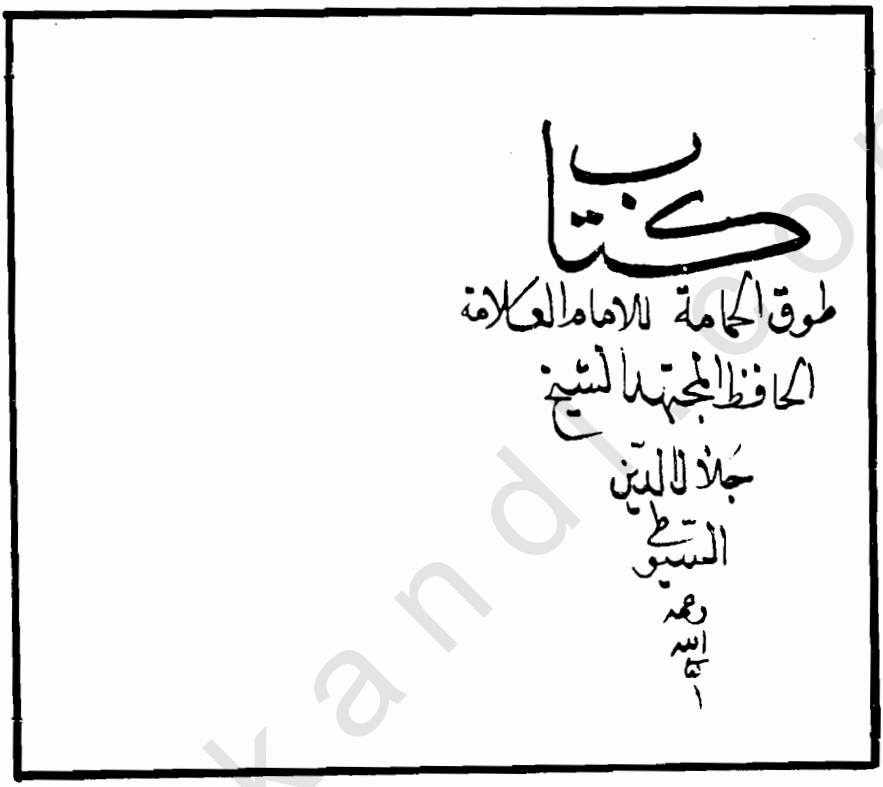


الصفحة الأولى من المخطوطة

obeikandl.com

# مقـــدمة المـؤلف

## ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمدُ لله مجيرُ الحمام فى البيت الحرام ..
والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه الكرام .
هذا تأليف فى «**الحَمَام**» يسمى :

**«طَوْقَ الحَمَامَة»**

**دعا إلى تأليفه سؤالٌ سُئِلْتُه :**
هل ورد أنَّ رجلاً شكا إلى النبى ﷺ «**الوَحشة**» فأمره أن يتَّخِذَ «**زوج حَمامٍ**» ؟!!

**ورتبته على :**

**« أ » مقدمة ..**
**«ب» ومَقْصِد ..**
**«جـ» وخاتمة ..**

**جلال الدين السيوطى**

# الحمام فى اللغة والفرق بينه وبين اليمام

فى لفظ الحمام لغة ومايطلق عليه والفرق بينه وبين اليمام وذكر طباعه فى سفاده وبيضه .

قال الجَوْهرىّ :[1]

« الحَمام عند العرب : ذواتُ الأطواق نحو :
الْفَواخِت[2] ، والقَمارى[3] ، وساقُ حُرٍّ ، والقَطَا ، والوَرَاشين[4] .
وأشباهُ ذلك .
يقع على الذكر والأنثى ؛ لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ، لا للتأنيث » .
وعند العامة : أنها الدواجن فقط .
الواحدة : حمامة .

○ قال حميدُ بن ثور فى قُمْرية :
وماهاجَ هذا الشوقَ إلا «**حمامةٌ**»
دعت «**ساق حُرٍّ**» بُرهةً فَتَرَنَّما[5]

---

(١) صاحب كتاب الصِّحاح .
(٢) الفواخت جمع فاختة . وهى الحمامة ذات الطوق .
(٣) القُمْرِيَّة بضم القاف : كما يقول القاموس : ضَرْبٌ من الحمام والجمع قَمَارِىّ ، وقُمْرٌ . أو الأنثى قُمْرِيَّة ، والذكر ساقُ حُرٍّ .
(٤) الوَرَشان ( محركة ) : طائر وهو «**ساق حُرٍّ**» لحمه أخف من الحمام والجمع وِرْشان ووراشين .

(٥) بقية الأبيات فى العقد الفريد ( جزء ٦ ) ص ٢٦٠ دار الكتب العلمية :
**مُطَوَّقةٌ خطباءُ تسجع كلما دنا الصيف وانزاح الربيع فأنجما**

○ وقال النابغة فى القطا فيما ذكره الأصمعى :

**وآحْكُمْ كحُكْمِ فتاةِ الحَىِّ إذْ نَظَرت إلى حمامٍ سراعٍ واردِ الثَّمَدِ**

فقالت :

**ألا لَيْتَما هذا الحمامُ لنا إلى حمامتنا أو نصفُه فَقَدِ(٦)**

---

■ **تغنت على غصن عشاء فلم تدع لنائحةٍ فى نوحِها مُتَلَوَّما**
**فلم أر مثلى شاقه اليوم مثلُها ولاعَرَبيًّا شاقه صوتَ أعجما**

والحمامة هنا : القُمرية .

ويقول ابن عبد ربه : الحمامة تبكى ، وتغنى ، وتنوح ، وتغرد ، وتسجع ، وتقرقر ، وتترنم وإنما لها أصوات سجيع لاتفهم فيجعله الحزين بكاء ، ويجعله المسرور غناء .

(٦) إن فتاة الحى قد نظرت إلى قطا واردٍ فى مضيق الجبل ، فقالت : ياليت هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطا أهلنا ، فيكمل لنا مائة قطاة ، فاتبعت وعُدَّت على الماء فإذا هى ستٌّ وستون قال أبو عبيدة : رأته عن مسيرة ثلاثة أيام وأرادت بالحمام القطا فقالت ذلك .

وفتاة الحى زرقاء اليمامة . ويقصد كن حكيما كفتاة الحى إذا أصابت وجعلت الشىء فى موضعه ، وهى لم تحكم بشىء ، إنما قالت قولا فأصابت فيه ، ويقول التبريزى فى شرح القصائد العشر معناه : كن فى أمرى حكيما ، ولا تقبل ممن سعى بى .

والثمد : الماء القليل .

ويُروى الحمامَ والحمامُ ، وكذلك نصفَه ، ونصفُه ، فإذا نصبته تكون مازائده وليت عاملة ، ونصف معطوف على المنصوب .

وإذا رفعته تكون كافة لليت عن العمل ، ويصير مابعدها مبتدأ وخبرا كما تقول : إنما محمد منطلق ، وقد بمعنى حسب .

ونعود فنقول : كم كان عدد الحمام الذى رأته زرقاء اليمامة ، فأحصته عددا من نظرة واحدة ؟

يجيب النابغة فيقول :

**فحَسَّبوه فألفوه كما حَسَبَت تِسْعاً وتسعين لم تَنْقُصْ ولَمْ تَزِدِ**

وكان الحمام الذى راته ستة وستين ، ولها حمامة فى بيتها فلما عدت الحمام الذى رأته قالت :

○ وقال **الأموى** : الدواجن التى تُستَفْرَخُ فى البيوت تسمى : **حماما** أيضا .

وجمع الحمام : حمائم ، وحَمَامات .

وربما قالوا : حمامٌ للمُغَرِّد .

قال :

**وذَكَّرَنى الصِّبَا بعد التَّنائى حمامةُ أيكةٍ تَدعو حَمَامَا**(٧)

○ وقال الأَصمعىُّ :(٨)

الحمام هو : البَرِّىّ .

واليمام : هو الذى يألف البيوت(٩) .

○ ونقل الازهرى عن الشافعى :

أن الحمام : كلُّ ماعَبّ ، وهَدَر ، وإن تفرقت أسماؤه . والعَبّ : شِدَّةُ جَرْعِ الماء مِن غيرِ تنفس .

والهديرُ : ترجيعُ الصوتِ ، ومواصلتُه من غير تقطيعٍ له .

---

**ليت الحمام ليه إلى حمامتيه**
**ونصفه قديه تم الحمامُ ميه**

**[ القصائد العشر ــ شرح الخطيب التبريزى ــ بتصرف ]**

(٧) ربما قالوا : حمام للمفرد . والبيت المذكور أتى به الدميرى فى معرض الدليل على ذلك ، وهو لجران العَوْد . والأيكة : الشجرة ملتفة الأغصان وقد جاءت فى القرآن ﴿**كذب أصحاب الأيكة المرسلين**﴾ [ الشعراء : ١٧٦ ]

(٨) فى كتاب الطير الكبير .

(٩) ذكر الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجه فى كتابه قصة الأدب فى مصر هذا الكلام من أول المقدمة منسوبا إلى الشيخ كمال الدين الدميرى من كتابه «**حياة الحيوان**» بادئا بقوله : الحمام : قال الجوهرى الخ .. ثم قال : وحكى أبو حاتم عن الاصمعى فى كتاب الطير الكبير : أن اليمام هو الحمام البرى الواحدة يمامة وهو ضروب الخ .

○ **قال الرافعى** :[١٠]

والأشبه : أن ماعَبَّ هدَر ؛ فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على « **العَبِّ** » كفى لهم .

**يدل عليه** : أن الشافعى قال فى عيون المسائل :

**وماعبَّ** من الماء عبًّا فهو حمام .

**وماشَرِبَ** قطرةً .. قطرة كالدجاج ، فليس بحمام .

(١٠) الرافعى : هو أحد أئمة اللغة ، وقد قام العلامة الفيومى بتأليف كتاب المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى . وكتاب الرافعى يسمى الوجيز .



obeikandl.com

# أنواع الحمام

**قال الكمالُ الدُّمَيْرِى** :[١١]

الحمام الذى يألف البيوت قسمان :

**بَرِّىٌّ** : وهو الذى يلازم البروج .

**وأَهْلِىٌّ** : وهو أنواعٌ مختلفة ، وأشكالٌ متباينة :[١٢]

الرواعب ، والمراعيش ، والعدّادُ ، والشدّادُ ، والمضَرّب ، والقلّاب .

**والمنسوب** : وهو بالنسبة إلى ماتقدم كالِعتاق[١٣] من الخيل . وتلك كالبراذين .

---

(١١) الدُّمَيْرى : هو الشيخ كمال الدين الدُّميرى المتوفى سنة ٨٠٨هـ والنص من كتابه حياة الحيوان .

(١٢) صنوف الحمام كثيرة ، وقد قدر الباحثون عددها بنحو ٢٩٠ صنفاً . منها نماذج بديعة رائعة الجمال .

(١٣) عتاق الخيل : كرامها ، والبراذين جمع برذون : دابة الحمل الثقيلة والتركى من الخيل [ المنجد ] وفرق كبير بين عتاق الخيل والبرذون كما بين المنسوب وغيره من أنواع الحمام ، فالبراذين غير عتاق الخيل !! فشتان مابينهما !



obeikandl.com

# النصع من الحمام كالصقلابى من الناس وهو الأبيض

○ **قال الجاحظ** :

النُّصَّع من الحمام كالصقالبة من الناس وهو الأبيض وفى التِّبيان : الحمام : أهلى ووحشى ، وسُوق ، وطرامرلى ، وهو حلال بجميع أنواعه .

وكل طائر يعرف بالزواج ، وبحسن الصوت ، والهديل ، والدعاء ، والترجيع ، فهو «**حمام**» وإن خالف بعضُه بعضا فى الصورة واللون ، وفى بعض الهديل والنوع .

كذا عرّفه الجاحظ[١٤] .

○ **وقال أبو حاتم فى «كتاب الطير»** :

العربُ لا تعرف حمام الأمصار ، إنما يسمونه : **الحصر** . وإنما الحمام عند العرب :

القطا ، والقُمَارى ، والدباسى ، والوَراشين ، والفواخت وساقَ حُرٍّ .

ونحوهن ضروب كثيرة وحشية .

○ وذكر ابن قُتَيْبَة وغيره :

---

(١٤) أبو عثمان عمرو بن بحر [ ١٦٠هـ ــ ٢٥٥هـ] عاش قرابة قرن من الزمان بلغ فى سعة ثقافته وعمقها مالم يبلغه أحد فى عصره .

أن المعروف عند العرب أن **الحمام** : ذوات الأطواق وماأشبهها من الفواخت ، والقمارى ، والقطا[١٥] ،

وأمّا **الدواجنُ** فى البيوت فهى وماأشبهها من طير الصحراء اليمام .

○ **وقال أبو حاتم :**

الفرق بين الحمام واليمام : أن أسفلَ ذنَبِ الحمام مما يلى ظهرَها بياض ، وأسفل ذنَب اليمام لابياضَ فيه .

والمراد بالطوق : الخُضْرة ، أو الحمرة ، المحيطة بعنق الحمام .

وفيه يقول الفرزدق :[١٦]

**لِمنْ يَكُ خائفاً لأداةِ شِعْرى فَقَدْ أَمِنَ الهجاءَ بَنُو حَرام**

**همُ رَأَوا سَفيههم وخافوا فلم يُرَ إلا مثلَ أطواق الحمام**

**وفى المثل :**

**« تقَلَّدها طوق الحمامة »**[١٧]

لأنه لايُزَايِلُها ، ولايفارقها .

وقال :

**اذهب بها اذهب بها طُوِّقْتَها طوقَ الحمامــة**

---

(١٥) ويقول ابن عبد ربه فى العقد الفريد الجزء السادس : كل مطوقة عند العرب حمامة ، كالدُّبْسِىّ ، والقُمْرِىّ ، والورشان ، وماأشبه ذلك ، وجمعها حمام . ويقال « **حمامة** » للذكر والأنثى ، كما يقال « **بطة** » للذكر والأنثى ، ولايقال : حمام إلا فى الجمع .

(١٦) هو أبو فراس همام بن غالب التيمى أحد الشعراء البارزين فى العصر الأموى — ومن الظواهر الأدبية التى وضحت فى العصر الأموى المعركة الهجائية التى نشبت بين الشعراء ، وكان الفرزدق أحد أعمدتها .

(١٧) جاء فى أساس البلاغة للزمخشرى : ومن المجاز : طوقنى نعمةً وطُوِّقْتُ منه أيادى وتَقَلَّدْتُها طوق الحمامة ، وتقول : فى عنقى من نعمته طوق ، مالى بأداء شكره طوق ( أى طاقة ) .

○ **قال ابن العماد :**

وقد انتظم من كلام الشافعى وأهل اللغة أن الحمام : يقع على الذى يألف البيوت ، ويُستَفْرخ فيها ، وعلى اليمام والقُمرى ، وساق حُرٍّ ، وهو ذكر القمرى ، والفاختة ، والدبس والقطا ، والورشان ، واليعقوب ، والقبج[١٨] ، والحجل ، والدُّرَّاج ، والشعس ، والراعى ، والوردانى ، والطورانسى ، وقد ذهب المراوزة[١٩] : إلى أن الجميع فى الرِّبا جنس واحد .

**وقال العراقيون :**

كل نوع منه جنس .. الحمام جنس ، والفواخت جنس ، والقُمارى جنس[٢٠] .

(١٨) القبج : طائر يشبه الحجل ، والواحدة قبجة تطلق على الذكر والأنثى .

(١٩) جمع مَرْوَزِى . نسبة إلى مرو من بلاد فارس .

(٢٠) وعليه فلا ربا عند العراقيين فى تبادل الجنسين .



obeikandl.com

# قولهم : آلَفُ من حَمامِ الحرم ، وأخرقُ من حَمامةَ وأحْمَق !!

وفى المثل : «**آلَفُ من حمام الحرم**»

«**وآمنُ .. واخرَق من حمامة .. وأحمق**»

لأنها لاتُحْكِمُ عُشَّها ، فإذا هبت الريح كان ماتَكَسَّر أكثر مما سلم[٢١] !!

**قال عبيدُ بن الأبرص** :[٢٢]

**عَيُــوا بأمرِهـــم كما عَيَتْ ببيضتِها الحمامة**
**جعَلتْ لها عُودين مِنْ بشــم وآخـرُ من ثمامـه**

---

(٢١) وهذا دليل على خرقها وعدم إحسانها عملها ، فهى خرقاء ! أما المثلان الآخران فقد جاء فى كتاب الأمثال :

وأما قولهم : «**آمنُ من حمام مكة**» فهو غير قولهم : «**آمنُ من الأرض**»

فالأول : من الأمن ؛ لأنها لاتُثَار ولاتُهاج .

أما الثانى فمن الأمانة ؛ لأن الأرض تؤدى ماتودَع ويقولون أيضا آلَفُ من حمام مكة .

(٢٢) عَبِيد بفتح العين وكسر الباء . هو عبيد بن الأبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهلية وقدمائهم . وله بائية مشهورة جاء فيها :

**من يسأل النــاس يحرمــوه وسائـــــل الله لايخيب**
**ساعدْ بأرْضٍ إن كنتَ فيها ولاتَقُـــلْ : إننـــى غريب**

وقد جاء فى مجمع الأمثال للميدانى تعليقا على المثل : «**أخرقُ منْ حَمَامَة**»

لأنها لاتُحكِمُ عُشَّها ، وذلك أنها ربما جاءت إلى الغصن من الشجرة فتبنى عليه عُشَّها فى الموضع الذى تذهبُ به الريح وتجيء ، فبيضُها أضيعُ شيء ، وماينكسر منه أكثر مما

# طِبَاعُ الحَمَام

روى أحمد فى الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح ــ عليه السلام ــ كان يقول لأصحابه :

**«إن استطعتم أن تكونوا بُلَهَاء فى مثل الحمام فافعلوا»**

قال : وكان يقال : ليس شيء أبله من الحمام .. إنك تأخذ فرخية من تحته فتذبحهما ؛ ثم يعود إلى مكانه ذلك ، فيُفرِخ فيه !!

وأخرج ابن عدى وابن عساكر من طريق محمد بن إسحق العكاش ، عن الأوزاعى ، عن مكحول والقاسم ــ أنهما سمعا أبا أُمامة يقول : إن رسول الله ﷺ قال : **«إن أخى عيسى بن مريم قال للحواريين يوما : ( يامعشرَ الحواريين كونوا فى الشَّرِّ بُلَهاء كالحمام . وكونوا فى الاجتهادِ والحذر كالوحش ، إذا طلبها القنَّاصُ»** .

**وأخرج ابن عساكر عن وهب قال :**

قرأت فى الإنجيل : أن المسيح قال للحواريين : كونوا حكماءَ كالحيات ، وبُلَهاء كالحمام» .

---

يَسْلم ، قال عبيد بن الأبرص :

عيوا بأمرهم .. الخ البيتين .

ويروى وعوداً من ثمامة بدلا من وآخر وهو يصفهم بالعجز والعِىّ والخرق وسوء التصرف .

أما النَّشَم : فكما يقول القاموس ــ مُحَرَّكة ــ شجر للقِسىّ .. والثُّمَّةُ القبضة من الحشيش ، والثُّمامُ نبت واحدته بالهاء ويقال لما لايَعْسُر تناولُه : **«على طرف الثُّمام»** لأنه لايطول ، فيكون العُشُّ هيِّن المتَنَاوَل .

**وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال :**
استقرت السفينة على «**الجُودِىّ**»[٢٣] فبعث نوح الغرابَ ليأتيه بالخبر ، فذهب ، فوقع على الجِيَف فأبطأ عليه !!

فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ، ولطخت رجليها بالطين ؛ فعرف نوح أن الماء نَضَب[٢٤] .

**وقال أميةُ بن أبى الصلت :**[٢٥]

**فأُرْسِلَتِ الحمامةُ بعد سبعٍ ... تَزِلّ على المهالِك لاتهابُ**
**تَلَمَّسُ هل ترى فى الأرض عيناً ... وعانية من الماء العُبابُ**
**فجاءت بعدما ركضَتْ بقِطْفٍ ... عليه الشَّطْءُ والطين الكُبابُ**
**فلما فرسوا الآيات صاغوا ... لها طوقا كما عقد السحابُ**
**إذا ماتت تُوَرِّثُه بنيها ... وإن تُقْتَل فليس لها استلابُ**

وروى أبو داود والنسائى عن ابن عباس : أن النبى ﷺ قال : «**يكون**

---

(٢٣) يقال : إنه جبل «**أرارات**» فى آسيا الصغرى [ الأناضول ــ تركيا ] وهو القول الراجح .

(٢٤) جف ، وانحسر عن الأرض ، وقد عبر القرآن عن ذلك بقول الله تعالى : ﴿**وغيضَ الماءُ وقُضِى الأمرُ واستوت على الجودى**﴾ [ هود : ٤٤]

(٢٥) هو عبد الله بن أبى ربيعة الثقفى نشأ بالطائف جاهليا يلتمس المعارف الدينية متعبداً راجيا أن يكون نبى العرب ، حتى إذا كانت بعثة النبى ﷺ نَفَسَها عليه ، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٩هـ . ويروى أبو الفرج الأصبهانى : أنه أكثر من ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية ، وحرم الخمر ، والتمس الدين وطمع فى النبوة ، لأنه قرأ فى الكتب أن نبيا يبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكون هو ، فلما بعث النبى ﷺ قيل له : هذا الذى كنت تنتظر وتقول فيه . فحسده عدو الله وقال : إنما كنت أرجو أن أكونه . فأنزل الله فيه : ﴿**واتلُ عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها**﴾ [ الأعراف ١٧٥ ] ونجد الحمامة فى البيت الأول تسقط على المهالك غير هيابة ويحدثنا فى البيت الثانى أنها راحت تواصل البحث عن عيون الماء .

**فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لايريحون**(٢٦) رائحه الجنة » .

**وروى ابن عدى عن جابر :**

أن النبى ﷺ قال «**شكت الكعبةُ إلى الله قلة الزُّوَّارِ لها ، فأوحى الله إليها : لَأُبْعَثَنَّ أقواماً يحنون إليك كما تَحِنُّ الحمامة إلى فَرْخها**»

قال الدُّمَيْرى :

فى طبع الحمام أنه يطلبُ وكره ، ولو أُرْسِلَ من ألف فرسخ .(٢٧) .

■وعندما رأت الماء قد انحسر أتت بما يدل على ذلك جاءت بقطف عليه الأوراق وفى أصوله طين الأرض . [ والشطْء : الورق ] وفى القرآن : ﴿**أخرج شطأه**﴾ . [ الفتح : ٢٩ ] .

وعندئذ عرفوا قدرها ، وصاغوا لها طوقا .. يرثه أبناؤها من بعدها ، ولايمكن سلبه !

(٢٦) لايَشَمُّون رائحتها . والحديث صحيح ذكره السيوطى فى الجامع الصغير .

(٢٧) الفرسخ : ثلاثة أميال هاشمية .

وقيل : اثنا عشر ألف ذراع . وهى تقريبا ثمانية كيلو مترات . وربما تساءل الكثيرون عن سر هذا الحمام العجيب وعن قدرته الخارقة على اكتشاف الطريق ، والاهتداء إلى أى مكان يرسل إليه .. ؟!

ولابد من التنبية هنا إلى نقطة هامة بل خطأ شائع .. فالحمام الزاجل لايكتشف أى طريق ، ولايهتدى إلى أى مكان يرسل إليه .. إنه يكتشف الطريق إلى موطنه فقط ، ويهتدى إلى بيته فحسب .. ! أى أنك لو أردت أن تبعث برسائلك من مصر إلى الكويت لكان عليك أن تأتى بهذا الحمام من الكويت ليقوم بهذه المهمة ، وإن كان الحمام الزاجل قد نجح فى نقل خبر هزيمة نابليون فى معركة «**واترلو**» إلى «**لندن**» فما ذاك إلا لأن العاصمة البريطانية كانت موطن ذلك الحمام .. فيها كان بيته ، وفيها دُرّب .

على أن التدريب المقصود هنا لايتعدى تعريف الحمام ببيته ، وتمييز هذا البيت عن سائر البيوت الأخرى وليس تدريبا على الطرق . فالحمام الزاجل يقوم برحلات العودة إلى بيته دون تدريب على الطرق التي قد يسلكها إلى موطنه . ويقطع فى ذلك آلاف الأميال دون أن يضل السبيل !! إنها قدرة خارقة ولاريب ، وقد عجز العلم عن تفسيرها حتى الآن ! وكل ماوصلوا إليه لايعدوا التكهنات ، كالقول إن الحمام الزاجل مجهز بحواس وأعضاء■

ويحمل الأخبارَ ويأتى بها من المسافات البعيدة فى المدة القريبة . وفيه مايقطع ثلاثة آلاف فرسخ فى يوم واحد .

وربما اصطبر وغاب عن وطنه عَشْرَ حجج[٢٨] ، وهو على ثبات عقله ، وقوة حفظه ، ونزوعه إلى وطنه ، حتى يجد فرصة فيصير إليه .

وسباع الطير تطلبه أشد الطلب ، وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره ، وهو أطْيَرُ منه ومن سائر الطير كله ، لكنه يُذْعَرُ منه ، ويعتريه مايعترى الحِمارَ إذا رأى الهِرَّ !!

**وفى عيون الأخبار** لابن قتيبة عن المثنى بن زهير قال : لم أر شيئا من رجلٍ وامرأة إلا وقد رأيتُه فى الحمام[٢٩] : رأيت حمامة لاتريدُ إلا ذكرَها !! وذكراً لايُريدُ إلا أنثاه ، إلى أن يَهْلِك أحدهما ، ويفقدها !!

**ورأيت حمامةً** : تتزين للذكر ساعة يُريدها !!

**ورأيت حمامة : لها زوج وهى بمسكن آخر مائعْدوه !!**

---

■ تمكنه من معرفة الطرق بواسطة الملاحة الشمسية .

ومما يذكر أن الحمام الزاجل يتوقف عن الطيران ليلا ، ولايواصل رحلته إلا فى وضح النهار .

(٢٨) عشر سنوات ، وفى القرآن الكريم ﴿**على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك**﴾ [ القصص : ٢٧ ] .

(٢٩) ويقول الدكتور أحمد أمين فى مقال له تحت عنوان : «**مع الطير**» « ظريف هذا الحمام غزله علم الإنسان الغزل ، يدعو فتتمنع ، ثم تجيب وتلوى عنه عنقها » ، « ثم يتعاشقان ويتطاوعان » ثم ماشئت منه من رشف وتقبيل ، ثم ماشئت منها من تيه ودلال ، ثم ماشئت منهما من فرح ومرح بالوصال .

ثم هو لطيف فى حنانه على ولده ، أرأيت كيف يقلب بيضه ؛ حتى تنال جوانب كل بيضة حظها من حرارته وحَضْنه ؟ وهل رأيت عنايته بعشه كيف يتخير مكانه ، وكيف يتخير عيدانه ، ثم ينسجها نسجا متداخلا ؟ وكيف يهندسه ليحفظ البيض من التدحرج ، ثم يتعاون الذكر والأنثى على العش ـــ وينقل عن الجاحظ قوله ـــ « يسخنانه ويطيبانه ،

**ورأيت حمامة** : تقمط حمامة ، ويقال : إنها تبيض عن ذلك !! ، ولكن لايكون لذلك البيض فراخ .

**ورأيت ذكرا** : يقمط ذكراً !!

**ورأيت ذكرا** : يقمط كلَّ من لقى ولايزاوج !!

**ورأيت انثى : يقمطها كل من يراها من الذكور ولاتتزاوج !!**

**وليس من الحيوان من يستعْمِل التَّقْبيل عند السِّفادِ**[٣٠] سواه !!

وهو عفيف فى السِّفاد يجر ذنَبَه على أثره ؛ ليعفوَا أثر الأنثى كأنه قد علم مافعلت ، ويجتهد فى إخفائه !![٣١]

وهو يَسْفِدُ لتمامِ ستةِ أشهر .

والأنثى تحملُ أربعة عشر يوما ، وتبيض بيضتين : يخرج من الأولى **ذكر** ، والثانية **أنثى** !!

---

وينفيان عنه طبعه الأول ، ويحدثان له طبيعة أخرى مشتقة من طبائعهما ، ومستخرجة من رائحة أبدانهما ، لكى تقع البيضة إذا وقعت فى موضع أشبه المواضع بأرحام الحمام » .

(٣٠) السِّفادُ : يقال سفَد الذكر على الأنثى سِفاداً بكسر السين أى نزا . [ العملية الجنسية ] .

وقمطه : شد يديه ورجليه ، ويقول أرسطو طاليس فى كتابه طباع الحيوان [ ترجمة يوحنا البطريق ] وتحقيق وشرح الدكتور عبد الرحمن بدوى : ويعرض للحمام شيء خاص بها فى أوان السِّفاد : أن يقبل بعضها بعضا إذا أراد الذكر أن يعلو الأنثى . وليس يكاد أن يسفد الذكر قبل أن يفعل ماذكرنا ، إلا بعد الكبر . فأما الشباب فليس يسفد قبل أن يقبل الأنثى . ثم يدع ذلك عند الكبر .

وإناث الحمام يعلو بعضها بعضاً إذا لم يكن ذكر فى قربها ، وليس يعلو بعضها بعضا إلا بعد القبل ، كما تفعل الذكورة [ ص ٢٤٨ ] .

(٣١) لقد لفت القرآن أنظارنا إلى ما فى حياة الحيوان والطير لنا من دروس عندما بعث غرابا يبحث فى الأرض ليُرى أحد ابنى آدم كيف يوارى سواة أخيه بعد قتله إياه .. ولفت أنظارنا على لسان «**نملة**» أفلا نواصل المسيرة لنتلقى كل يوم مزيدا من العبر والدروس النافعة ؟ أليس الإنسان أولى بالستر على حليلته ؟! إن فى حياة الحمام دروسا بالغات .

وبين الأولى والثانية يوم وليلة .

والذكر يجلس على البيض ويسخنه جزءًا من النهار ، والأنثى بقية النهار ، وكذلك فى الليل !!

وإذا باضت الأنثى ، وأبت الدخول على بيضها لأمرٍمّا ضربها الذكر ، واضطرها للدخول !

وإذا أراد الذكر أن يسفدَ الأنثى أخرج فراخَه من الوكرَ[٣٢] وإذا خرج الفرخ من البيض مضغَ أبوه **ترابا مالحاً** وأطعمه إياه ؛ ليسهلَ به سبيل الطعم[٣٣] .

وزعم أرسطو : أن الحمام يعيش ثمان سنين .

---

(٣٢) ماأشد حاجة الإنسان الذى كرمه الله بالعقل والعلم إلى شىء من الحياء وصيانة ماء الوجه بعد أن تبلدت المشاعر والأحاسيس ، وراحوا يمارسون الجنس على مرأى ومسمع ويقول الدكتور أحمد أمين : « ليت كل أسرة ترى فى بيتها حماماً وترقب عيشته ، فيتعلم منه الآباء كيف تكون العناية ، وكيف يكون الحنان ، ويتعلم منه الأبناء كيف يجازون جهد الآباء وتضحيتهم .

وإذا خرج الفرخ نفخا فى حلقة حتى يتسع ممر الغذاء لعلمهما أن آلات ممر غذاء الفِراخ لا تحتمل الطعام فيزقانه أولا باللعاب المختلط بالطعام مكان اللبن ، ويعلمان أن حوصلته تحتاج إلى دبغ فيأكلان من سفوح الحيطان .

(٣٣) يقول القزوينى فى كتابة «**عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**» « إذا وضعت الأنثى البيض يتناوبان عليه الحضن بعدما سخَّنا موضعهما ، ويقلبان البيض فى أيام الحضن ، وأكثر على الأنثى التى تتكفل بالحضانة ، فإذا صارت فراخا ، فأكثر الزَّقِّ على الذكر كالرجل الذى يتكفل بالنفقة .

ثم يقول : وترى عجبا بين زوج الحمام من الملاعبة والغُنْج مثل مايجرى بين الناس من القبلة والمعانقة وغيرهما .

ورأيت حمامة تسجد لذكرها حال طلبه ، وحمامة لاتسجد إلا مع شدة الطلب ، ورأيت ذكرا له أنثيان يحضن بيض هذه وهذه ، ورأيت أنثيين يتساحقان كسحاق النساء ..

## الرَّاعِبِيَّة :

ومن الحمام «**الراعبية**» منسوبة إلى أرض يقال لها : **راعب** .

## الوزى :

ومن الحمام « الوزىّ » وهو ضرب من الحمام يَضْرِبُ إلى حُمرة وصُفْرة .

## كنية الحمام :

وفى الزنبيل : « لابن خالَوَيه » كنية الحمام :

**«أبو مهنى»**

## المعرقل :

والمعرقل : الذكر من الحمام .

obeikandl.com